

من يحرق أشجار لبنان؟

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية

لم يعد خافياً على اللبنانيين الذين لن تتخدر أحاسيسهم الوطنية، ولم يبيعوا ضمائرهم بثلاثين من الفضة، أن المؤامرة التي تستهدفهم وجوداً، هوية، أرضاً وجذوراً، كيانا وقراراً حراً منذ سنة ١٩٧٥، ما زلت مستمرة بزخم أقوى وبأسلوب فاجر أوقح من أي وقت مضى. فبعد ضرب الاقتصاد وإيصاله إلى حافة الانهيار الكلي، وبعد ضرب السياحيين من زعامات ومواطنين ورجال دين قتلاً، سجنًا، إبعادًا، تهجيرًا، وإرهابًا، وبعد تهميش الحكم وجعل رموزه واجهات متفننة في طقوس الانبطاح والتبعية وخدمة مصالح وأطماع الغرباء، وبعد تحويل الدولة إلى دويلات وأوكار لكل ما هو معيب لكرامة الإنسان، وبعد تهجير أكثر من ثلثي اللبنانيين وجعل بلادهم ساحة لحروب الآخرين عن طريق تعطيل دور جيشهم الوطني وشلى قدراته وإبعاده عن الحدود السورية والإسرائيلية، وبعد تلويث الماء، تسميم الهواء، وزرع الأرض بالنفيات السامة، وبعد تسييس القضاء، تعهير كافة القيم والمبادئ وإفلاس المؤسسات الحكومية وكساد المواسم الزراعية، بعد كل هذا جاء دور تدمير الغابات والقضاء على ما تبقى فيها من خضار.

فهل تتجه أسطورة لبنان الأخضر نحو الزوال؟ وهل يصبح لبنان الذي كان مقصد السواح لجمال طبيعته وهوائه النقي مجرداً من إحراجه، فتقتصر جباله على مسافات شاسعة سوداء يكسوها الرماد من جراء الحرائق المتزايدة التي تقضي على الأشجار والنباتات والطبيعة بشكل عام، وهل ستتحول جبالنا إلى صحارى؟

الوضع يدعو إلى القلق، إذ بلغت مؤخراً نسبة الإحراج ٥% في حين أنها يجب أن تتعدى الـ ٢٠% ليعتبر لبناننا طبقاً للمعايير الدولية بلداً أخضر. وإذا استمر الحال على هذا النحو من التردّي الانحداري، فإن نسبة الـ ٥% سوف تستمر في الانخفاض، وعندها تصبح أي محاولة لتصحيح الوضع الحرجي عديمة الجدوى. ولعل أكثر الأسباب تأثيراً على انقراض الثروة الحرجية هي الحرائق التي تزداد باستمرار منذ سنة ١٩٩٠، وهي في معظمها مفتعلة، إضافة إلى الحر والجفاف والإهمال وعدم توفر وسائل الري والإطفاء من شاحنات وطائرات وغيرها. أما آخر الحرائق التي أضرت عن عمد في أحراج عكار فدمرت مسافات شاسعة من الأشجار البرية والمثمرة، وفي بنت جبيل قضت الحرائق مؤخراً على حوالي ٤٠ دونماً من الأرض العشبية والحرجية، وهي لم توفر منطقة واحدة، لا في الجنوب أو الشمال، البقاع أو الجبل، وقد سُجل خلال عطلة نهاية الأسبوع الأخيرة ٢٥٠ حريقاً في مختلف المناطق، علماً أن عدد الحرائق هذا الصيف تجاوز بعشرات المرات المعدلات التي تعود عليها لبنان ما قبل العام ١٩٩٠.

المحزن المبكي أنه لا توجد في لبنان شاحنة ري واحدة، في حين لدى الشقيقة ٣٨٠ شاحنة من هذا النوع موضوعة بتصرف المسؤولين عن الثروة الحرجية السورية، كما أن لبنان لا يملك طائرة واحدة من الطائرات المخصصة لإطفاء الحرائق.

من المتوقع أن يرتفع عدد الحرائق بين ٢٠ أيلول و ١٥ تشرين الأول من هذا الصيف وهي الفترة التي تعتبر موسماً للحرائق إذ يزداد خلالها الجفاف مترامناً مع هواء ساخن في بعض الأحيان، إضافة إلى الأيادي الشريرة المأجورة لافتعال الحرائق.

المخطط واضح المعالم وهو يهدف إلى جعل الأرض اللبنانية أرضاً "بوراً، يابسة، سوداء، جرداء، لا حياة ولا روح فيها، وذلك لاجبار المزارع اللبناني على هجر أرضه التي سقاها من عرقه ودمه وجبل ترابها بإيمانه وحبه وتضحياته. هذا المخطط الهدام يهدف إلى إفراغ الوطن من أهله وإحلال الطارئین مكانهم فيسهل عندها تفويض أسس الكيان، نحر الاستقلال، مصادرة القرار الوطني، تغريب اللبناني في بلده، وتفكيك الدولة ومؤسساتها. لقد حان الأوان ليعي اللبناني أخطار المؤامرة التي هو هدفها وأرضه ساحتها، فيتصرف بمسؤولية انطلاقاً من أرضية الواقع المر الاحتلالي المفروض عليه وعلى وطنه بقوة السلاح والإرهاب والاضطهاد والقهر والصهر تحت راية الأخوية الكاذبة، أخوة قايين لهابين.

على اللبناني أن يعي حقيقة عدم جواز غط الطرف عن الهيمنة السورية وإهمال الأمن والحريات والتركيز فقط على الوضع الاقتصادي. فلا قرار حر ولا استقلال ولا كرامة ولا اقتصاد ناجح في ظل حكم مرتهن رموزه واجهات منصبة لخدمة أطماع من نصبها وتنفيذ مخططاته التوسعية المدمرة تحت راية الوحدة الكاذبة ومحاربة الدولة العبرية المضللة.

إن غابات لبنان التي بنى من خشبها سليمان الحكيم أكبر وأعظم معبداً للرب كانت وما تزال وسوف تبقى رمزاً للبنان العفوان والطاهرة والتسامح والقداسة. المحافظة على هذه الثروة مسؤولية وواجب يقعان على كاهل كل مواطن يحب لبنان، متشبث بهويته ويرى فيه وطناً نهائياً له ولأحفاده. يقول المثل اللبناني: "زرعوا فأكلنا، نزرع فيأكلون". فدعونا نزرع الشجر لتوسيع الرقعة الخضراء، فيعود لبنان إلى خضاره، وتعود الطيور إلى ربوعه تنام وتتناسل وتغرد وتقتات من وعلى أشجاره التي قدسها الرب.

إن مجد لبنان يكمن في غاباته، وقد جاء في الكتاب المقدس: "مجد لبنان يأتي إليك السرو والسنديان والشربين جميعاً لزينة مقدسي وأمجد موطيء قدمي (اشعيا ٦: ١٣)